بسم الله الرحمن الرحيم

الأسرة الصلبة!

صلابة الأسرة.

ليست الأوطان العظيمة هي التي تكثر فيها المباني، ولا الأمم القوية هي التي يزداد عدد أفرادها فحسب، وإنما تقاس قوة الأمم بصلابة الأسرة.

متى تبدأ الأسرة؟

يظن كثير من الناس أن الأسرة تبدأ يوم ليلة الزفاف، وهذا غير صحيح، بل تبدأ يوم يجلس الإنسان مع نفسه ويسألها: لماذا أتزوج؟

إنه سؤال يبنى عليه مستقبل بيت كامل، بل مستقبل أجيال. فالإنسان قبل الزواج مسؤول عن نفسه، فإذا تزوج صار مسؤولًا عن زوجته وأولاده، ولذلك لا يدخل الإنسان الزواج لمجرد إشباع الغريزة أو تقليد الناس، وإنما يدخله وهو يستحضر رسالة عظيمة: إقامة بيت يعبد الله، ويخلِّف بها أثرًا يبقى بعد موته، ويستر على زوجة

بعفافه وعفافها، فالولد ليس قرة عين في الدنيا فحسب، بل هو من العمل الذي يمتد أجره لصاحبه بعد وفاته، فتأمل:

لو مضت مئة سنة، أو مئتان، أو ثلاثمئة سنة، وما زال في ذريتك من يصلي، ويصوم، ويقرأ القرآن، ويتعلم...فكم يتجدد لك من المآثر الحسنة؟

ومن هنا يبرز السؤال التالي:

إذا كنت أريد أسرة صلبة، فمن المرأة التي ستعينني على هذه الرسالة؟ إنها المرأة التي يمكن أن تبني معها الحب الناضج! لا مجرد الحب العاطفي.

الحب العاطفي والحب الناضج.

يقال: إن الحب نوعان: حبٌّ عاطفي، وحبٌّ ناضج.

فأما الحب العاطفي:

فهو الذي يشتعل في بداية التعارف أو في الأشهر الأولى من الزواج، ثم قد يضعف مع اعتياد الحياة وكثرة المسؤوليات.

فهو الذي تبنيه الأيام، وتصنعه المواقف، وتقويه حسن العشرة، والوفاء، والصبر، والتغاضي عن الزلات، ولهذا لم يجعل الله أساس الحياة الزوجية مجرد المحبة، بل قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

فالمودة حبٌّ يظهر في التعامل، والرحمة تبقى إذا خفت حرارة العاطفة أو نزلت بالزوجين الشدائد، ولذلك كانت البيوت التي تُبنى على الدين والمودة والرحمة أبقى من البيوت التي تُبنى على العاطفة وحدها.

كيف أكون الأسرة الصلبة.

إذا كان حسن الاختيار هو بداية بناء الأسرة، فإن حسن العشرة هو الذي يُكَوِّن صلابة الأسرة. وقد لخَّص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المنهج بقوله: "خيرُكُم خيرُكم لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خيرُكم لِأَهْلِي" [1]، فليس حسن الخلق مع الغرباء وحدهم، بل أعظمه مع أهل البيت.

---

(١) رواه الترمذي.

قصة أم زرع!

من غرائب القصص أن إحدى عشرة امرأةً اجتمعن في الجاهلية، وتعاهدن أن يصدقن في وصف أزواجهن، فلا يكتمن من أخبارهم شيئًا. وكانت من بينهن امرأة يقال لها أم زرع، وقد وصفت أم زرع زوجها وصفًا بديعًا، فقالت:

«زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي [1]، ... فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ».

فتأمل هذا الوصف، حيث ذكرت أثر حسن عشرته؛ «فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ»، أي: أتكلم فلا يوبخني ولا يجرح كرامتي، ثم قالت: «وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ»، أي: أنام آمنة مطمئنة

---

(١) "أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ" يعني أغرقني بالذهب والمجوهرات "وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ" يعني: أكرمني بأنواع الطعام حتى سمنت، "وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي" يعني: عظمني وقدرني واحترمني حتى عظمت نفسي.

حتى الضحى، وكانت العرب تقول عن المرأة المدللة بالخدم والحشم: (نؤومة الضحى) وقالت: «وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ»، أي: أشرب حتى أرتوي، فاجتمع لها حسن المعاملة، وأمن النفس، وسعة العيش. فلما فرغت عائشة رضي الله عنها من رواية هذا الحديث، قال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرع»[1].

سبب أكثر المشكلات الأسرية!

وأخطر صور التطفيف أن يطالب الإنسان بحقوقه كاملة، ويقصر في أداء حقوق غيره. فإذا أخطأ غيره شدد عليه، وإذا أخطأ هو التمس لنفسه الأعذار. وهذا هو السبب الخفي في كثير من المشكلات الأسرية.

ومن أعظم أخطاء الأزواج تحويل البيت إلى ساحة محاكمة؛ تُحصى فيها الزلات، وتُستدعى فيها أخطاء الماضي مع كل خلاف جديد. أما البيت المؤمن فإنه يعمل بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾البقرة: ٢٣٧،

---

(١) رواه البخاري.

فلا يمحو خلاف ساعة سنواتٍ من المعروف.

إن البيوت لا يحفظها الذكاء، ولا كثرة المال، وإنما يحفظها أن يؤدي كل واحد ما عليه قبل أن يطالب بما له، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، ومن هنا تكون الأسرة الصلبة.

الرياض في ١١/ ١ / ١٤٤٨ هـ

أ.د عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد